لهجة قريش وسيادتها

بحث في علم اللغة

إعداد أ/ شادية بيومي حامد
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
shadia@mediu.ws

خلاصة—هذا البحث يبحث في الأساس الأول في لهجة قريش وسيادتها.

الكلمات المفتاحية: لهجة قريش وسيادتها.

I. *المقدمة*

ونذكر في هذا المقام ظاهرة قوية يلحظها الباحث في صراع لهجات شبه الجزيرة العربية، واشتباكها قبل الإسلام؛ فكانت الواحدة من اللهجات تبتلع الأخرى أولًا، ثم يتكون من الاثنتين لهجة لم تكن موجودة من قبل، وهذه اللهجات الجديدة تمتزج بلهجة أ خرى، وهكذا ظلّ هذا التدرج ينتقل في أزمنة طويلة.

II. موضوع المقالة

ونذكر في هذا المقام ظاهرة قوية يلحظها الباحث في صراع لهجات شبه الجزيرة العربية، واشتباكها قبل الإسلام؛ فكانت الواحدة من اللهجات تبتلع الأخرى أولًا، ثم يتكون من الاثنتين لهجة لم تكن موجودة من ق بل، وهذه اللهجات الجديدة تمتزج بلهجة أخرى، وهكذا ظلّ هذا التدرج ينتقل في أزمنة طويلة.

أثناء الجاهلية كانت لهجات الشمال قبل الإسلام ذات سلطان قوي، ونفوذ واسع؛ فكانت تبتلع اللهجات الجنوبية ابتلاعًا، أي أن لهجات الشمال كانت تبتلع لهجات الجنوب الواحدة تِلْوَ الأخرى.

حتى أصبحت اللهجات الشمالية هي السائدة في أغلب أقاليم شبة الجزيرة العربية بعد أن التهمت أكثر اللهجات الجنوبية، وتغذّت بها.

وعلى هذا الدّرب استطاعت اللهجة القرشية -بعد اشتباكها مع غيرها من اللهجات في شبه الجزيرة العربية- أن تبقى، وتتغلّب على اللهجات الأخرى، وتخرج من ذلك الصراع قويةً بألفاظها، وأساليبها، ودلالاتها، عريقة بما للناطقين بها من مكانة، هذه المكانة كانت مكانة دينية سامية بين قبائل شبه الجزيرة العربية.

أيضًا كانت هذه المكانة الدينية، والتي تبعها مكانة سياسية كانت سببًا في نزول القرآن الكريم بهذه اللهجة، بعد صراعها الطويل مع لهجات القبائل العربية.

اللهجات في شبه الجزيرة العربية كانت تتصارع ؛ لهجات الشمال مع لهجات الجنوب، والتغلّب في النهاية كان يكون للهجات الشمال، كانت كما يقول "إسرائيل ولفنسون" في كتابه (تاريخ اللغات السامية): كانت لهجات الشمال تَلْتَهِمُ الواحدة تِلْوَ الأخرى.

العوامل التي أدّت إلى تغلّب اللهجة القرشية:

العامل الأول والقوي في تغلب اللهجة القرشية على بقية اللهجات الأخرى : العامل الديني، أو النفوذ الديني؛ فقد كان القرشيون يعملون سدنة لبيت الله الحرام ؛ ولذلك اكتسبوا مكانة دينية ع ند القبائل الأخرى في شبه الجزيرة العربية، كانت وفود العرب تأتيهم من جميع الجهات ؛ ولذلك اكتسبوا مكانة دينية عند جميع القبائل في شبه الجزيرة العربية.

أيضًا اكتسب القرشيون مكانة تجارية، كانوا يقومون برحلتي الشتاء والصيف، الشتاء لليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، فيجلبون البضاعة من اليمن ومن الشام، ثم يوزعونها على القبائل في شبه الجزيرة العربية؛ فاكتسب القرشيون نفوذًا ثانيًا، وهو نفوذ التجارة عندنا نفوذ الاقتصاد، أو وزارة التموين.

فالنفوذ التجاري أيضًا في شبه الجزيرة العربية كان نفوذًا قويًّا، نفوذ الاقتصاد والتجارة؛ لأن شبه الجزيرة العربية صحراء خالية لا زرع فيها ولا ماء ؛ فكانت التجارة تكتسب نفوذًا قويًّا.

هذا النفوذ الديني -الذي تحدثنا عنه- والنفوذ التجاري الذي كان للقرشيين بسبب رحلة الشتاء والصيف، أكسب القرشيين نفوذًا ثالثًا وهو نفوذ الحكم، نلمس ذلك عندما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، واجتمع الأنصار والمهاجرون في سقيفة بني ساعدة، وطمع الأنصار في الخلافة، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه قولته المشهورة: "لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ؛ فلا تنفسوا على إخوانكم ما حباهم الله به من فضله".

إذن القرشيون كانوا يتمتعون بنفوذ الحكم أيضًا ؛ إذن سبب تغلّب اللغة القرشية على بقية اللهجات الأخرى بعد صراعها مع اللهجات الأخرى كان السبب ا لديني، ثم السبب التجاري، ثم نفوذ الحكم.

وضمّ القرشيون إلى لهجتهم ما هي في مسيس الحاجة إليه من الألفاظ والأساليب ، ما رَأَوْهُ أخفّ على ألسنتهم وأيسر ضمّوه إلى لهجتهم؛ ولذلك ضمّت القرشية أفضل ما كان، وأحسن ما ينبغي، ومن أجل هذا تكلّم العرب بالقرشية، الجميع كانوا في الأسواق في الجاهلية، والأسواق في الجاهلية كانت: مجنة، وعكاظ، وذو مجاز، وقد كانت الأسواق مجالًا من مجالات الثقافة عند العرب ؛ ولذلك كانت القصائد تُلقى باللهجة القرشية، وكان الشعراء يتبارون في الإنشاد باللهجة القرشية، وكان الخطباء يخطبون باللهجة القر شية، وكان العامّة يبتعدون عن اللهجة القرشية؛ لأنهم لا يستطيعون غير التكلم بصفات لهجاتهم القبلية.

المراجع والمصادر

١. ماريو باي، أسس علم اللغة ، ترجمة: أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
٢. أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.
٣. إبراهيم أبو سكين، اللهجات العربية والقراءات القرآنية ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، ٢٠٠٦م.
٤. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧ م.
٥. ولفنسون، تاريخ اللغات الساميّ، بيروت، دار القلم، ١٩٨٠م.
٦. صبحي الصالح، بيروت ، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
٧. إبراهيم أبو سكين، علم الدلالة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ٢٠٠٣م.
٨. إبراهيم أبو سكين، علم الصوتيات، وتجويد آيات الله البينات، كلية اللغة العربية، الزقازيق، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م.

٩. كمال بشر، القاهرة، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م.
١٠. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، جامعة الملك سعود، عماد شئون المكتبات، ١٩٩١م.
١١. إبراهيم أبو سكين، علم اللغة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ١٩٩٧م.
١٢. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، ١٩٧٢ م .
١٣. أحمد علم الدين الجندي، عن التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي الصرفي، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٤. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م.
١٥. رمضان عبد التواب ، في أصول اللغة ، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٦. إبراهيم أبو سكين، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، دار الفاروق الحديثة للطبع والنشر، ١٩٩٦م.